

التَّذْكِيرَةُ وَالنَّصِيحَةُ الْمُسَدَّاءُ

إِلَى طُلَّابِ الْعِلْمِ وَالدُّعَاةِ

إعداد

محمد حسن نور الدين إسماعيل

المقدمة

إن الحمد لله تعالى نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ به من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ومن يضل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً صلى الله عليه وسلم هو عبده ورسوله أما بعد ، فإن أصدق الحديث كتاب الله تعالى وأحسن الهدى هدى محمد صلى الله عليه وسلم ، وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار أما بعد.

قال تعالى: {وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ} [المائدة: 2]. وقال سبحانه: {وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ} [آل عمران: 104].

وقال صلى الله عليه وسلم (الدين النصيحة. قلنا لمن يا رسول الله؟ قال: لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم) رواه مسلم رحمه الله عن تميم الداري رضي الله عنه ، فمن هذا المنطلق أسدي هذه التذكرة والنصيحة إلى أحب الناس إلى قلبي ، إليكم أتم دعاة الإسلام وطلاب العلم ، وأذكر نفسي وإياكم من باب قوله تعالى: {وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ} [الذاريات: 55] ، يا من حملتم أعباء الدعوة إلى الله على كواهلكم ففضيتم أوقاتكم وأعماركم وتركتم ملاذ الدنيا لتبلغوا دين الله تعالى ، فأتمم ورثة الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم ، وأنتم الذين قد تحريم نصوص الشريعة قولاً وعملاً واعتقاداً وسلوكاً وآداباً وأمرًا بالمعروف ونهياً عن المنكر بضوابطه الشرعية المعتمدة ، نحسبكم كذلك ولا نزكي على الله أحداً.

لما كثرت الفتن وأطلت برأسها علينا ، وكثرت الخلافات السائغة وغير السائغة بين الدعاة وطلاب العلم لاسيما الخلافات السياسية المعاصرة فتحزب من تحزب ، وانشقق من انشقق ، واتهم من اتهم ، واتجهت أنظار وأسماح الناس إليهم ، فبدأوا بالانتقاص من شأنهم وحُرمتهم ووقارهم ، وآل الأمر إلى الاستهزاء بهم والسخرية من كلامهم وفتاواهم وهيئتهم ونالوا منهم نيلاً يندى له الجبين ، من أجل ذلك كانت هذه التذكرة والنصيحة التي بين أيديكم أيها الدعاة الفضلاء وطلاب العلم الأحياء ، وأسأل الله تعالى أن تكون خالصة لوجهه تعالى ، وأن تلقى قبولاً وتتقبلوها بصدق رُحْب ، فوالله الذي لا إله غيره ما ابتغيت بها التنقص من قدر أحد ، لكنني رأيت أن من واجبي كمسلم أن أذكر أناساً هم عندي أهل فضل وعلم.

أخوكم / محمد حسن نور الدين إسماعيل

أتم القدوة الحسنة

فأتم أيها الدعاة وطلاب العلم القدوة الحسنة التي يقندى بها ويتأسى بها الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم والصحابة رضی الله عنهم ، عندما يرى سمتكم وتشاهد أخلاقكم ويسمع لدعوتكم التي مستندها الكتاب والسنة ، فتصحون لله تعالى وتدعون إلى دين الله عز وجل بالحكمة والموعظة الحسنة فيتأثر الناس بكم ويجهدون في أن يصيروا مثلكم أخلاقا وهديا وعلما وسمتا ، فكما قيل : فعل رجل في ألف رجل أبلغ من قول ألف رجل في رجل . لكن عندما يرى الناس أن القدوة الحسنة قد تحولت أو اختلفت أو تناقضت في أقوالها أو أفعالها فلا شك أن هذا مما يؤثر سلبا على إقبال الناس وقبول دعوتكم ، وربما تراجعوا عن اتباعكم بل وربما انتقصوا وأساءوا إليكم ، فكونوا ممن (إذا رُؤوا ذكر الله تعالى)

ما علمتونا ترجيح المصالح العامة ومراعاة أحوال الناس

فقد تعلمنا منكم تقديم المصلحة الراجحة ، وأن المصالح العامة تقدم على المصالح الخاصة ، وأن درء المفسد مقدم على جلب المنافع ، ولكننا نشاهد في بعض الأمور خلاف ذلك ، ولا أقول كلها فأنا أعلم أنكم على علم وبصيرة ؛ لكن ياليتكم تثبتم وأكثرتم من المشورة فإن ذلك سيكون أقوم ، وربما أتى الخلل من الثقة الزائدة في غير المؤهلين ممن حولكم ، فليس كل أحد قادر على الإفتاء أو الحوار أو نقل رسالة ما أو التصريح ببيان ما.

كما أنصح بتقديم الأفضل والأورع والأحوط لدين الله مع مراعاة أحوال الناس على اختلاف فئاتهم ، فلا تكون القرارات لمصلحة طائفة دون أخرى أو انتصارا لمذهب معين أو حزب معين، بل تسع الجميع وتجمع كلمة المسلمين .

ليس كل ما يُعَرَف يقال

فهذا أيضا مما تعلمناه منكم ، فهناك أمور وأحداث وأخبار لا بد من كتابتها وعدم نشرها أو تأخير الإفصاح عنها حينها المناسب ، فكما تعلمون أنه يجوز تأخير البيان لمصلحة راجحة ، وأنه لكل مقام مقال ، سواء كان الإخبار لعوام الناس أو لطلبة العلم المبتدئين ؛ لأن ذلك قد يُجَدِّث بلبلة وقلقل وتشويشا واضطرابا في المفاهيم ، وربما نُقِلت كلمة على غير مراد قائلها ، أو في غير موضعها ، أو في غير حينها فتظل تتناقل عبر الأفواه فتؤدي إلى الشحناء والعداوة والبغضاء ، أو يفهم منها التنقص من أحد فتحدث الواقعة بين المسلمين فالله المستعان.

الانشغال بأمور الدنيا والانهماك فيها يلهي عن عمل الآخرة

فما هو معلوم أن الانشغال بأمور الدنيا فوق الحاجة من أخطر ما يبتلى به المرء ، كالانشغال بتحرى عيوب الناس وتتبع عوراتهم وكشف مثالبهم والتنقص ممن هو مشهود له بالصلاح والعلم ، وكذلك الانهماك في مضار السياسة إلى حدّ يصل إلى الاقتصار عليها وجعلها الشغل الشاغل حتى يؤدي ذلك إلى ترك الواجب ، فهذا لا شك مذموم كما تعلمون ، فالقصد القصد تبلغوا ، فلا يصح الانهماك بالكلية في أمور لا تليق بالدعاة وطلاب العلم والتي قد تصل بهم إلى الانتقال لا أقول من الفاضل إلى المفضول ، بل من الواجب إلى المباح.

رفقاً بالمستقيمين من الإخوة الجدد

وهذه النصيحة من أهم ما أردت ، حيث إن المستقيمين الجدد أي الشباب الذين وفقهم الله تعالى للهداية وبدأوا يبحثون عن الخيرات ويحضرون مجالس العلم بحثاً عن الهدى النبوي القويم قد جاءوا إليكم ليرؤوا خير ما عندكم ، فلا تصدموهم فيكم ، ولا تجعلوا الشك يساورهم ويتسلل داخل نفوسهم عندما يسمعون منكم كلاماً طيباً حال التدريس ثم لا يجدوا ذلك عملياً ، فهذا من أخطر وأشنع ما ينجى على طالب العلم حينما تهتز ثقته في شيخه ومعلمه ومؤدبه ؛ لأن طالب العلم قد وُطِنَ ذهنه وقلبه وجوارحه على أنكم القدوة الصالحة التي يقتدى بها ، والتي من الصعب أن تكون متناقضة في قول أو عمل .

رفقاً بعامة الناس

أتم تعلمون حفظكم الله أننا نسعى جميعاً لكي نُعَبِّدَ الناس لله تعالى ، وأنتم بارك الله فيكم لا تألون جهداً في ذلك ، كما تعلمون أن عوام الناس هم أولى وأحوج إلى الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة ، وأنهم لا بد أن يروا منكم ما يَسْرُهُمْ ويكون سبباً في استقامتهم ، وأن الحديث معهم ودعوتهم يحتاج إلى دقة وحذر فأنتم عندهم رموز يقتدى بها ، فلا تخاطبوهم بدقائق الأمور، أو غريب الفتاوى و المسائل، أو كثرة الخلافات الفقهية ، ولا التنقص من أحد أمامهم فرمما كان أحد الناس له شيخ يحبه ويحله وهو يجهل مذهبه أو بعض ما عنده من المخالفات لكنه يحبه ولا يقبل من أحد أن يذم فيه ، فرمما قال : قال الشيخ فلان : كذا وكذا فيفاجأ بأنك تلقى وابلا من الاتهامات وما يفهم منه التنقص من هذا الشيخ ، فبدلاً من أن يستمع إليك تجده تعصب لشيخه وانقلب الأمر عليك ،

وربما خرج من عندك وتَقَوَّلَ عليك بعض الأقاويل والافتراءات مما لا يعلمه إلا الله تعالى ، فانتبهوا أيها الدعاة وطلاب العلم - حفظكم الله - فهذا أمر خطير ، وقد حدث كثيرا وشاهدناه مرارا والله المستعان .

العفو والصفح وخفض الجناح والرفق مع الحزم غير المخل بالدين

أُدِّرِكُمْ بقول تعالى: (وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ ...) وقوله تعالى: (وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ) ، فالناس دوما يلينون مع من لان معهم ولأن لهم الكلام وتعاهدهم بالسؤال وسعى في قضاء حوائجهم ، ويتقربون لمن يراعي أحوالهم ، والكثير منهم إلا من رحم الله قد يجهل أحيانا ويتعصب وقد يسب ، فأتم كدعاة وطلاب علم لا ينبغي أن تقابلوا السيئة بالسيئة قال تعالى: (وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ) وقال النبي صلى الله عليه وسلم : (مَا كَانَ الرَّفْقُ فِي شَيْءٍ إِلَّا زَانَهُ ، وَلَا نُزْعٌ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا شَانَهُ)

فترفقوا بالناس واعفوا عن زلاتهم واصفحوا عنهم ألا تحبون أن يغفر الله لكم ؟؟؟؟؟

خاطبوا الناس على قدر عقولهم

وهذا أيضا من متطلبات الدعوة الناجحة أيها الفضلاء كما علمتمونا بأن نخاطب الناس على قدر عقولهم وفهولهم ومداركهم العقلية ، فلا يصح أن نتحدث مع الناس بما لا يطيقون ، بل نبسط لهم المسائل والفتاوى والآراء ، وذلك مراعاة لأحوالهم فرمما ملؤوا وضجروا أو أساءوا الفهم لاسيا العوام والطلاب الجدد .

لا تكونوا عوناً للشيطان على إخوانكم

قال تعالى: (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ) وقال صلى الله عليه وسلم: (وكونوا عباد الله إخوانا) ، فينبغي أن نلتمس الأعدار لإخواننا ، وأن نعذرهم بالجهل بضوابطه الشرعية المعتمدة عند أهل العلم ، وأن نرشد الضال ، ونصح المستنصِح وندله على الخير والصواب ، وأن نأخذ بيده لئلا يتفلت ، فكل ابن آدم خطأ والكمال لله وحده جل وعلا ، فلا نكون عوناً للشيطان على إخواننا ، ولا نبادر بالإتهامات والتريص والنقد والتسرع بالحكم على أحد كائن من كان إلا بحجة وبينة، فإذا ظهرت منه مخالفة وجبت النصيحة بالرفق واللين . والله الموفق .

التثبت من الأخبار والإنصاف في الإخبار

قال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْحَبُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ)
وقال سبحانه (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيداً) فالتثبت من الأخبار واجب شرعي
ومطلب دعوي مهم ، فلا يُحْكَم على صحة شيء أو بطلانه إلا بعد التثبت منه من مصدر موثوق به لئلا يُتَجَنَّى
على أهل العلم والفضل فيصيبنا الندم ، كذلك في الإخبار لا بد أن نكون منصفين وأن نروى ما سمعنا أو رأينا
بإنصاف وحيادية بعيدا عن حظوظ النفس، إذا كان في حكايته مصلحة وأمنت مضرتة والله المستعان.

لا إفراط ولا تفريط

وهذه أيضا قاعدة مهمة ، فقد نهينا عن الغلو وأمرنا بالوسطية كما قال تعالى: (وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ...)
فلا بد من الوسطية في كل شيء سواء كان في الدين أو الدنيا ، لكن وا أسفاه فقد نجد بعض الدعاة وطلاب
العلم يُفْرِطُونَ في أمور لا تستحق الإفراط ، كمن يظل ينتقص وينتقد في أغلب دروسه شيئا أو داعية أو
طالب علم قد عُرف بالاستقامة وليس له في ذلك بينة ، فهذا لا يليق أبدا بمجلس علم، أو يفترط في أمور
وواجبات لا ينبغي التفريط فيها ، كالغيبة والنميمة والهمز واللمز والتنازع بالألقاب ، أو يُفْرِطُونَ في أداء بعض
الطاعات كقيام الليل وصلاة الأرحام وبر الوالدين وحسن الجوار. فالله المستعان

أحسنوا الظن بالمسلمين

فالأصل هو إحسان الظن بالمسلمين ، ولا ينبغي إساءة الظن بأحد ما دام ظاهر حاله يدل على استقامته
وسعيه إلى الخيرات وبذل المعروف وكف الأذى ، تَذَكَّرُوا قول الله تعالى في فواتح سورة النور عندما قص علينا
سبحانه وتعالى خبر حادثة الإفك فقال: (لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا
إِفْكٌ مُّبِينٌ) فهل لنا في صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم أسوة؟؟؟ فالله الله في أعراض المسلمين والله
الله في تتبع عوراتهم .

وأخيرا ... هَلَّا اتحدنا واعتصمنا ونبذنا الخلافات التي لا تسمن ولا تغني من جوع ؟؟؟

فالعرب وغيرهم من أعداء الإسلام على اختلاف عقائدهم ومذاهبهم يتربصون بنا ليل نهار ويكيدون لنا كيذا ويريدون أن يستأصلوا شأفتنا ، ويتابعون في جميع وسائل الإعلام ما حَلَّ بنا من الفتن والأهواء والخلافات ، فهيا إخواني الكرام نبذ الخلافات ونعتمص بالله تعالى ونرفع لواء الإسلام بكل ما أوتينا من قوة وتذكروا قول الله تعالى: (واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا ...) وقوله تعالى: (ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا إن الله مع الصابرين) فجميعنا يفتقر إلى مَعِيَّةِ الله تعالى بنصره وتأييده ، وما أحسن ما رُوِيَ عن الإمام الشافعي رحمه الله تعالى. قال يونس الصَّدِّيُّ : ما رأيتُ أعقل من الشافعي ، ناظرته يوماً في مسألة ، ثم افترقنا ، ولقيني ، فأخذ بيدي، ثم قال : يا أبا موسى ، ألا يستقيم أن نكون إخواناً وإن لم نتفق في مسألة .

قال الذهبي رحمه الله تعالى : هذا يدل على كمال عقل هذا الإمام ، وفقه نفسه .

فالبدار البدار إلى الخير والتألف ، فإنما يأكل الذئب من الغم القاصية ، هذا وأسأل الله جل وعلا أن يجعل لتلك التذكرة والنصيحة صدئاً يُهدى به إلى الحق وإلى الصراط المستقيم وأسأله تعالى أن يجعلني وإياكم ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه ، وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

أخوكم / محمد حسن نور الدين إسماعيل